

﴿فِيهِنَّ حَيْرَاتٌ حَسَانٌ ﴿٧٦﴾﴾ بتشديد الياء ﴿فِي أَيِّ آيَاتِنَا نَكَذِّبَانِ ﴿٧٦﴾﴾ ثم قال: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٦﴾﴾ خيام اللؤلؤ. روى البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة، عرضها ستون ميلاً، في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمنون» وأخرجه مسلم. ﴿لَمْ يَطْمِئِنَّ إِلَٰهٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ﴿٧٦﴾﴾ ﴿فِي أَيِّ آيَاتِنَا نَكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾﴾.

﴿مُتَّكِنِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرٍ وَعَبَقَرِيِّ حَسَانِ ﴿٧٦﴾﴾ ﴿فِي أَيِّ آيَاتِنَا نَكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾﴾ نَبْرَكَ أَسْمَ رَبِّكَ ذِي

الْمَلَكِلِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾

﴿مُتَّكِنِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرٍ﴾ يعني الوسائد، أو الرفرف المجالس، أو رياض الجنة ﴿وَعَبَقَرِيِّ حَسَانِ﴾ العبقري الزرابي، وعن الحسن البصري: هي بسط أهل الجنة، لا أبالكم فاطلبوها. ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٦٥﴾﴾ فوصف أهلها بالإحسان، وهو أعلى المراتب والنهايات. ثم قال: ﴿نَبْرَكَ أَسْمَ رَبِّكَ ذِي الْمَلَكِلِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾ أي هو أهل أن يجلس فلا يعصى، وأن يكرم فيعبد، ويشكر فلا يكفر، وأن يذكر فلا ينسى ﴿ذِي الْمَلَكِلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ ذي العظمة والكبرياء. روى الإمام أحمد، قال رسول الله ﷺ: «أجلوا الله يغفر لكم» وفي الحديث الآخر: «إن من إجلال الله إكرام ذي الشبهة المسلم، وذو السلطان، وحامل القرآن غير الغالي فيه، ولا الجافي عنه». وروى الحافظ أبو يعلى أن رسول الله ﷺ قال: «ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام» وكذا رواه الترمذي. وروى مسلم عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا سلم لا يقعد، يعني بعد الصلاة إلا بقدر ما يقول «اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام».

تفسير سورة الواقعة

قال أبو إسحاق عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال أبو بكر يا رسول الله قد شبت، قال: «شيبتي هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت» رواه الترمذي، وقال: حسن غريب. وروى الحافظ ابن عساكر قال: مرض عبد الله مرضه الذي توفي فيه فعاده عثمان بن عفان، فقال: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي، قال: فما تشتهي؟ قال: رحمة ربي، قال: ألا أمر لك بطبيب؟ قال: الطبيب أمرضني، قال: ألا أمر لك بعتاء؟ قال: لا حاجة لي فيه، قال: ما يكون لبناتك من بعدك، قال: أنخشى على بناتي الفقير؟ إني أمرت بناتي يقرأن كل ليلة سورة الواقعة، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾﴾ لَيْسَ لَوْعِنَهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾﴾ حَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴿٣﴾﴾ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ﴿٤﴾﴾

وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ﴿٦﴾ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمِ ﴿٩﴾ وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ﴿

الواقعة من أسماء يوم القيامة، سميت بذلك لتحقيق كونها ووجودها، كما قال تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ [الحاقة: 15] وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَوْعِنَهَا كَاذِبَةٌ﴾ أي ليس لوقوعها إذا أراد الله كونها صارف بصرفها، ولا دافع يدفعها كما قال تعالى: ﴿أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ [الشورى: 47] وقال: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُمْ دَافِعٌ ﴿٢﴾﴾ [المارج: 1، 2] وقوله: ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾ أي تخفض أقواماً إلى أسفل سافلين إلى الجحيم، وإن كانوا في الدنيا أعزاء، وترفع آخرين إلى أعلى عليين إلى النعيم المقيم، وإن كانوا في الدنيا وضعاء ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾ أي حركت تحريكاً واضطربت بطولها وعرضها، أي زلزلت زلزلاً ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾ أي فتت فتاً، أي صارت الجبال ﴿كَيْبًا مَهِيلاً﴾ [الزلزل: 14] ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا﴾ كرهج الغبار يسطع، ثم يذهب فلا يبقى منه شيء ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ أي ينقسم الناس يوم القيامة إلى ثلاثة أصناف. ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمِ ﴿٩﴾ وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ ﴿١٠﴾﴾ اثنان في الجنة، وواحد في النار ﴿وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ ﴿١٠﴾﴾ هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أو هم أهل عليين، أو هم الذين صلوا إلى القبليتين، أو هم من كل أمة ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾.

﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُوعَةٍ ﴿١٥﴾ مُتَّكِنِينَ عَلَيْهَا مُتَنَبِّلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوبُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَنْوَاعٍ وَأَبَارِقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿١٨﴾ لَا يَصْدَعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَلَكَهَمٌ مِمَّا يَتَخَذُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحِيرٌ طَيْرٌ مِمَّا يَشْتَبُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَلِ الذُّلُوفِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهِنَّ إِلَّا قِيلاً سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٥﴾﴾

يقول تعالى مخبراً عن هؤلاء السابقين المقربين أنهم ثلثة أي جماعة من الأولين، وقليل من الآخرين وقد اختلفوا بقوله الأولين والآخرين، فقليل: المراد بالأولين الأمم الماضية، وبالآخرين هذه الأمة، وهو اختيار ابن جرير واستأنس بقوله ﷺ: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة» ومما يستأنس به لهذا القول ما رواه الإمام ابن أبي حاتم عن أبي هريرة قال: لما نزلت ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الواقعة: 39، 40] شق ذلك على أصحاب النبي ﷺ فنزلت: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ فقال النبي ﷺ: «إني لأرجو أن تكونوا ربيع أهل الجنة، ثلث أهل الجنة، بل أنتم نصف أهل الجنة، أو شطر أهل الجنة، وتقاسمونها النصف الثاني» وقيل، وهو الراجح، المراد بقوله: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾﴾ أي من صدر هذه الأمة ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ أي من هذه الأمة،

فيحتمل أن تعم الآية جميع الأمم، كل أمة بحسبها، ولهذا ثبت في الصحاح وغيرها من غير وجه أن رسول الله ﷺ قال: «خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن عمار بن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل أمتي مثل المطر، لا يدرى أوله خير أم آخره» فهذا الحديث بعد الحكم بصحة إسناده محمول على أن الدين كما هو محتاج إلى أول الأمة في إبلاغه إلى من بعدهم كذلك هو محتاج إلى القائمين به في أواخرها، وتثبيت الناس على السنة وروايتها وإظهارها، والفضل للمتقدم، وكذلك الزرع هو محتاج إلى المطر الأول، وإلى المطر الثاني، ولكن العمدة الكبرى على الأول، واحتياج الزرع إليه أكد. ﴿عَلَىٰ شُرَيْرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ أي مرمولة بالذهب، يعني منسوجة به ﴿مُنْكَبِينَ عَلَيْهَا مُنْقَلِبِينَ﴾ أي وجوه بعضهم إلى بعض ليس أحد وراء أحد ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ أي مخلدون على صفة واحدة، لا يتكبرون عنها، ولا يشيرون ولا يتغيرون ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكُؤُوسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ أما الأكواب فهي الكيزان التي لا خراطيم لها ولا آذان، والأباريق التي جمعت الوصفين، أي لها خراطيم وآذان ﴿مِّن مَّعِينٍ﴾ من عين جارية ليس من أوعية تنقطع وتفرغ، بل من عيون سارحة. ﴿لَّا يَصْدَعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ﴾ أي لا تصدع رؤوسهم، ولا تنزف عقولهم، بل هي ثابتة مع الشدة المطربة، واللذة الحاصلة ﴿وَفِكَهْمَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ ولتبر طبر مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ أي ويطوفون عليهم بما يتخيرون من الثمار، وهذه الآية دليل على جواز أكل الفاكهة على صفة التخير لها ﴿وَسُورٍ عَيْنٍ﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ أي كأنهن اللؤلؤ الرطب في بياضه وصفائه. ﴿جَزَاءً يَّمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي هذا الذي أتحفناهم به مجازاة لهم على ما أحسنوا من العمل ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ أي لا يسمعون في الجنة كلاماً لاغياً أي عبثاً خالياً عن المعنى، أو مشتقاً على معنى حقير أو ضعيف كما قال تعالى: ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً﴾ [الغاشية: 11] أي كلمة لاغية ﴿وَلَا تَأْتِيهَا﴾ أي كلاماً فيه قبح ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَكْنَا سَلَكًا﴾ أي إلا التسليم منهم بعضهم على بعض كما قال تعالى: ﴿يَخَيَّرُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ [إبراهيم: 23] وكلامهم أيضاً سالم من اللغو والإثم.

﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ فِي سِدْرٍ تَخْضُودٍ ﴿وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾ وَطَلْحٍ مَّمْدُودٍ ﴿وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ وَفِكَهْمَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ وَفُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿

لما ذكر تعالى مآل السابقين، وهم المقربون عطف عليهم بذكر أصحاب اليمين، وهم الأبرار، ومنزلتهم دون المقربين، فقال: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ أي أي شيء أصحاب اليمين، وما حالهم وكيف مآلهم؟ ثم فسر ذلك فقال: ﴿فِي سِدْرٍ تَخْضُودٍ﴾ هو الذي لا شوك فيه، وموقر بالثمر، فإن سدر الدنيا كثير الشوك، قليل الثمر، وفي الآخرة على العكس من هذا، كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: إن الله لينفعنا بالأعراب ومساثلهم، قال: أقبل أعرابي يوماً، فقال: يا رسول الله، ذكر الله في الجنة شجرة تؤذي صاحبها، فقال رسول الله ﷺ: وما هي؟ قال: السدر، فإن له شوكاً مؤذياً، فقال رسول الله ﷺ: أليس الله تعالى يقول: ﴿فِي سِدْرٍ تَخْضُودٍ﴾ خضد الله

شوكه فجعل مكان كل شوكة ثمرة، فإنها لتنبت ثمراً تفتق الثمرة منها عن اثنين وسبعين لونا ما فيها لون يشبه الآخر. ﴿وَطَلَّحَ مَنُصُورٍ﴾ ﴿٢٩﴾ هو الموز ﴿وَزَلَّيَ مَمْدُودٍ﴾ ﴿٣٠﴾ في البخاري «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، اقرأوا إن شئتم». ﴿وَزَلَّيَ مَمْدُودٍ﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ ﴿٣١﴾ يجري في غير أخدود ﴿وَفَكَهَمٌ كَثِيرٌ﴾ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ أي وعندهم من الفواكه الكثيرة المتنوعة في الألوان مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، لا تقطع صيفاً ولا شتاء، بل أكلها دائم مستمر أبداً مهما طلبوا وجدوا، لا يمتنع عليهم بقدرة الله شيء ﴿وَفُرْشٍ مَّرْوَعَةٍ﴾ ﴿٣٤﴾ أي عالية وطيبة ناعمة.

﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنثَاءً﴾ ﴿٣٥﴾ جَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرْيًا أَزْوَاجًا ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثَلَاثَةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾

﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ﴾ جرى الضمير على غير مذكور، لكن لما دل السياق، وهو ذكر الفرش على النساء اللاتي يضاجن فيها اكتفى بذلك عن ذكرهن، وعاد الضمير عليهن، كما في قوله: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَّتَ بِأَلْحَابٍ﴾ [ص: 32] يعني الشمس على المشهور من قولي المفسرين ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ﴾ أعدناهن في النشأة الأخرى بعدما كن عجائز، رمصاً، صرن ﴿أَبْكَارًا﴾ أي بعد الثوبه عدن أبكاراً ﴿عُرْيًا﴾ متحبات إلى أزواجهن بالحلاوة والظرافة والملاحة ﴿أَزْوَاجًا﴾ في سن واحدة، ثلاث وثلاثين سنة، ومع ذلك هن متساويات في الأخلاق المتواخيات بينهن ليس بينهن تباغض ولا تحاسد، يعني لا كما كن ضرائر متعدييات ﴿لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ أي خلقن لأصحاب اليمين، أو ادخرن، أو زوجن لأصحاب اليمين ﴿ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿٣٩﴾ وَثَلَاثَةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ أي جماعة من الأولين وجماعة من الآخرين.

﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مِمَّا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ ﴿٤١﴾ فِي سَمُورٍ وَحَمِيرٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٌّ مِّنْ يَحْمُورٍ ﴿٤٣﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَىٰ الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَيُّدَا مِنَّا وَكَذَّٰرِبًا وَعِظْمًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوْ ءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ إِنَّمَا أَصَالُونَ الْمُكْذِبُونَ ﴿٥١﴾ لِأَكْثُونَ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ زُقُومٍ ﴿٥٢﴾ فَالَّذِينَ مِنهَا الْأَبْعُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَرِبُوا عَلَيْهِ مِنَ الْعَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَرِبُوا شَرِبَ الْهَمِيرِ ﴿٥٥﴾ هَذَا نَزَّلْنَاهُ يَوْمَ الَّذِينَ ﴿٥٦﴾

لما ذكر تعالى أصحاب اليمين عطف عليهم بذكر أصحاب الشمال فقال: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مِمَّا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ ﴿٤١﴾ أي أي شيء هم فيه أصحاب الشمال؟ ثم فسر ذلك فقال: ﴿فِي سَمُورٍ﴾ وهو الهواء الحار ﴿وَحَمِيرٍ﴾ وهو الماء الحار ﴿وَظِلٌّ مِّنْ يَحْمُورٍ﴾ ﴿٤٢﴾ ظل من دخان ﴿لَا بَارِدٍ﴾ أي ليس طيب الهبوب ﴿وَلَا كَرِيمٍ﴾ ولا حسن المنظر ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ ﴿٤٥﴾ أي كانوا في الدار الدنيا منعمين مقبلين على لذات أنفسهم، لا يلوون على ما جاءتهم به الرسل ﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ﴾ أي يقيمون ولا ينون توبة ﴿عَلَىٰ الْحِنثِ الْعَظِيمِ﴾ وهو الكفر بالله، وجعل الأوثان الأصنام أرباباً من دون الله ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ

أَيَّدَا يَتَنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِيَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوْ أَبَاؤُنَا الْأَوْلُونَ ﴿٤٨﴾؟ يعني أنهم يقولون ذلك مكذبين به، مستبعبدين لوقوعه ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْبُوعُونَ إِلَيَّ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾ أي أخبرهم يا محمد أن الأولين والآخريين من بني آدم سيجمعون إلى عرصات القيامة، لا يغازر منهم أحد ﴿مَّعْلُومٍ﴾ أي هو موقت محدود، لا يتقدم ولا يتأخر، ولا يزيد ولا ينقص ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الصَّالُونَ الْكَاذِبُونَ ﴿٥١﴾ لَا كُفُونَ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ زُقُومٍ ﴿٥٢﴾ قَالُونَ مِنهَا الْبَطُونَ ﴿٥٣﴾﴾ وذلك أنهم يقبضون ويسجرون حتى يأكلوا من شجر الزقوم حتى يملأوا منها بطونهم ﴿فَسَنُرِيهِمْ عَلَيْهِ مِن لَّعِيمٍ ﴿٥٤﴾ فَسَنُرِيهِمْ شَرِبَ أَهْمِيرٍ ﴿٥٥﴾﴾ وهي الإبل العطاش، واحدها أهيم، والأثنى هيماء ﴿هَذَا تَرْفُؤُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾﴾ أي هذا الذي وصفنا هو ضياقتهم عند ربهم يوم حسابهم.

﴿نَحْنُ خَلَقْنَكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوبِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَيَّ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾

يقول تعالى مقررًا للمعاد، ورادًا على المكذبين به من أهل الزيف والإلحاد من قالوا: ﴿أَيَّدَا يَتَنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِيَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [المؤمنون: 82] وقولهم ذلك صدر منهم على وجه التكذيب والاستبعاد فقال تعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَكُمْ﴾ أي نحن ابتدأنا خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكوراً، أفليس الذي قدر على البدءة بقادر على الإعادة بطريق الأولى والأخرى؟ ولهذا قال: ﴿فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ أي فهلا تصدقون بالبعث. ثم قال تعالى مستدلاً عليهم بقوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ أي أنتم تقرونه في الأرحام وتخلقونه فيها أم الله الخالق لذلك؟ ثم قال تعالى: ﴿نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ﴾ أي صرفناه بينكم، قال الضحاك: ساوى فيه بين أهل السماء والأرض ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوبِينَ﴾ أي وما نحن بعاجزين ﴿عَلَيَّ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ﴾ أي نغير خلقكم يوم القيامة ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي من الصفات والأحوال. ثم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ أي قد علمتم أن الله أنشأكم بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكوراً فخلقكم، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة، فهلا تتذكرون وتعرفون أن الذي قدر على هذه النشأة، وهي البدءة قادر على النشأة الأخرى، وهي الإعادة بطريق الأولى والأخرى، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: 27].

﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلَمْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمَعْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾﴾

﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾؟ وهو شق الأرض وإثارتها والبذر فيها ﴿ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ﴾؟ أي تبتونه في الأرض ﴿أَمْ نَحْنُ الَّذِينَ نَقَرَهُ قَرَارَةً وَنَبْتَهُ فِي الْأَرْضِ﴾ ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾ أي نحن أنبتناه بلطفنا، ورحمتنا، وأبقيناها لكم رحمة بكم، ولو نشاء لأيسناها قبل استوائه واستحصاده ﴿فَطَلَّتُمْ تَفْكُهُونَ﴾ ثم فسر ذلك بقوله: ﴿إِنَّا لَمُعْرُمُونَ﴾ ﴿بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ﴾ أي لو جعلناه حطاماً لظلمتم تفكهون في المقالة تنوعون كلامكم، فتقولون تارة ﴿إِنَّا لَمُعْرَمُونَ﴾ أي ملقون للشر، أو لمولع بنا، أو معذبون، وتارة تقولون ﴿بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ﴾ أي لا يثبت لنا مال، ولا ينتج لنا ربح، أو مجدودون أي لا حظ لنا. ثم قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ آيَاتِ الْفَأَلَاءِ الَّتِي تَشْرَبُونَ﴾ ﴿أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ يعني من السحاب ﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ﴾ يقول: بل نحن المنزلون ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أَمْجَاجًا﴾ أي زعاقاً مرأ، لا يصلح لشرب ولا زرع ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ أي فهلا تشكرون نعمة الله عليكم في إنزاله المطر عليكم عذاباً زلالاً ﴿أَفَرَأَيْتُمْ الْآبَارَ الَّتِي تُوْرُونَ﴾ أي تقدحون من الزناد، وتستخرجونها من أصلها ﴿ءَأَنْتُمْ أَشْجَرَتَا سُجْرَتَانِ﴾ أي بل نحن الذي جعلناها مودعة في موضعها، وللعرب شجرتان، إحداهما المرخ، والأخرى العفار، إذا أخذ منهما غصنان أخضران فحك أحدهما بالآخر تناثر من بينهما شرر النار.

﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ﴾ ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾

﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً﴾ أي تذكر النار الكبرى ﴿وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ﴾ للمسافرين، ومنه قولهم أقوت الدار إذا رحل عنها أهلها ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ أي الذي بقدرته خلق هذه الأشياء المختلفة.

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ ﴿إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾

﴿فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾ ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ ﴿تَنْزِيلٌ مِنَ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿أَفِيهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ﴾ ﴿وَيَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾

هذا قسم، وقال بعض المفسرين: «لا» ههنا زائدة، وتقديره أقسم بمواقع النجوم، وجوابه ﴿إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ وقال آخرون: «لا» ههنا ليست زائدة لا معنى لها، بل يؤتى بها في أول القسم إذا كان مقسماً به على معنى كقول عائشة رضي الله عنها: لا والله ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قرض، وهكذا ههنا تقدير الكلام لا أقسم بمواقع النجوم ليس الأمر كما زعمتم في القرآن أنه سحر وكهانة، بل هو قرآن كريم، وقال بعض أهل العربية: معنى قوله: ﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾ فليس الأمر كما تقولون، ثم استأنف القسم بعد ذلك فقال: أقسم. ﴿بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ يعني نجوم القرآن، فإنه نزل جملة ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء الدنيا، ثم نزل مفرقاً في السنين بعد، وقيل: يعني ﴿بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ الأنواء التي كان أهل الجاهلية إذا مطروا قالوا: مطرنا بنوء كذا وكذا. وقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ أي وإن هذا القسم الذي أقسمت به لقسم عظيم، لو تعلمون

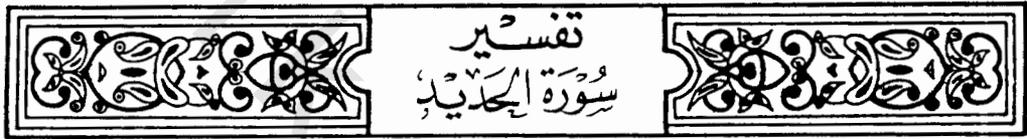
عظمته لعظمتهم المقسم به عليه ﴿ إِنَّهُ لَقَرِيمٌ كَرِيمٌ ﴾ (٧٧) أي إن هذا القرآن الذي نزل على محمد ﷺ لكتاب عظيم ﴿ فِي كِتَابٍ مَّكْتُوبٍ ﴾ (٧٨) أي معظم في كتاب معظم محفوظ موقر ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ (٧٩) عن ابن عباس: الكتاب الذي في السماء لا يمسه إلا الملائكة، أو لا يمسه القرآن إلا المطهرون من الجنابة والحدث. وفي الحديث: «لا يمسه القرآن إلا طاهر». قال ابن زيد: زعمت كفار قريش أن هذا القرآن تنزلت به الشياطين، فأخبر الله أنه لا يمسه إلا المطهرون كما قال تعالى: ﴿ وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴾ (٨٠) وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْرُؤُونَ ﴾ (٨١) [الشعراء: 210-212] ﴿ نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٨٢) أي هذا القرآن من الله رب العالمين، وليس هو كما يقولون: إنه سحر أو كهانة، أو شعر، بل هو الحق الذي لا مرية فيه، وليس وراءه حق نافع ﴿ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُذْهِبُونَ ﴾ (٨٣) أي مكذبون غير مصدقين ﴿ وَتَجْمَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ (٨٤) أي وتجعلون رزقكم بمعنى شكركم أنكم تكذبون، أي تكذبون بهذا الشكر.

﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴾ (٨٢) وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ نَنْظُرُونَ ﴿ وَأَنْتُمْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا بُصِيرُونَ ﴾ (٨٥) فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٨٧) ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ أَيُّ الرُّوحِ ﴾ (٨٦) أَي الحلق، وذلك حين الاحتضار، كما قال تعالى: ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ الرَّاقِيَ ﴾ (٦٦) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴾ (٦٨) وَاللَّيْلِ السَّاقِ بِالسَّاقِ ﴿ إِلَيْكَ يَوْمِذٍ الْمَسَاقِ ﴾ (٦٧) [القيامة: 26-30] ولهذا قال ههنا ﴿ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ نَنْظُرُونَ ﴾ (٨٤) أي إلى المحتضر، وما يكابده من سكرات الموت ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ ﴾ أي بملائكتنا ﴿ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴾ أي ولكن لا ترونهم ﴿ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴾ (٨٧) معناه فهلا ترجعون هذه النفس التي قد بلغت الحلقوم إلى مكانها الأول ومقرها من الجسد إن كنتم غير مدنيين.

﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴾ (٨٨) فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّتٌ يَغِيْرِ ﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ (٩٠) فَسَلَّمَ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ ﴾ (٩١) فَسَلَّمَ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ ﴾ (٩٢) هذه الأحوال الثلاثة هي أحوال الناس عند احتضارهم، إما أن يكون من المقربين، أو يكون ممن دونهم من أصحاب اليمين، وإما أن يكون من المكذبين بالحق، الضالين عن الهدى، الجاهلين بأمر الله، ولهذا قال: ﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴾ أي المحتضر ﴿ مِنْ الْمُقْرَبِينَ ﴾ وهم الذين فعلوا الواجبات، وتركوا المحرمات والمكروهات، وبعض المباحات ﴿ فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّتٌ يَغِيْرِ ﴾ أي فلهم روح وريحان وتبشرهم الملائكة بذلك عند الموت ﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ (٩١) أي وأما إن كان المحتضر من أصحاب اليمين ﴿ فَسَلَّمَ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ (٩٠) أي تبشرهم الملائكة بذلك، تقول لأحدهم: سلام لك أي لا بأس عليك، أنت إلى سلامة، أنت من أصحاب اليمين. ﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ ﴾ (٩٢).

﴿فَنَزَّلْنَا مِنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَنَصَلِيَهُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾

﴿فَنَزَّلْنَا مِنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾﴾ أي وأما إن كان المحتضر من المكذبين بالحق الضالين عن الهدى ﴿فَنَزَّلْنَا﴾ أي فضيافة ﴿مِنْ حَمِيمٍ﴾ وهو المذاب الذي يصهر به ما في بطونهم والجلود ﴿وَنَصَلِيَهُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾ أي وتقديره له في النار التي تغمره من جميع جهاته. ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾﴾ أي إن هذا الخبر لهو حق اليقين الذي لا مرية فيه، ولا محيد لأحد عنه ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ روى الإمام أحمد لما نزلت على رسول الله ﷺ ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [الواقعة: 74] قال «اجعلوها في ركوعكم» ولما نزلت ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾﴾ [الأعلى: 1] قال: رسول الله ﷺ: «اجعلوها في سجودكم».



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾

يخبر تعالى أنه يسبح له ما في السماوات والأرض، أي من الحيوانات والنباتات، كما قال في الآية الأخرى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ الْمَسْبُوحَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: 44] وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ أي الذي خضع له كل شيء ﴿الْحَكِيمُ﴾ في خلقه وأمره وشرعه.

﴿لَهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾﴾

﴿لَهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ أي هو المالك المتصرف في خلقه، فيحیی ويمیت، ويعطي من يشاء ما يشاء ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ روى الإمام أحمد عن عرابض بن سارية أنه حدثهم أن رسول الله ﷺ كان يقرأ المسبحات قبل أن يرقد، وقال: «إن فيهن آية أفضل من ألف آية» وهكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي، وقال الترمذي: حسن غريب. والآية المشار إليها - والله أعلم - قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ قال البخاري: قال يحيى: الظاهر